

الكتابة اللسانية العربية الحديثة في وجهتها التراثية

قضايا الدرس الصوتي عند أحمد مختار عمر نموذجاً

The modern Arabic linguistic writing in its traditional orientation

Phonetic study in the work of Ahmed Mokhtar Omar as a model

رحمة بعزي *

جامعة يحي فارس ولاية المدية

bazi.rahma@univ-medea.dz

تاريخ القبول: 2024-12-12

تاريخ الإرسال: 2024-10-31

ملخص:

تنقسم الكتابة اللسانية العربية إلى ثلاث توجهات كبرى: الكتابة اللسانية التمهيدية، ولسانيات التراث، ولسانيات العربية، بهدف تأسيس فكر عربي لغوي حديث، وإن الدرس اللغوي الصوتي يعتبر حجر الأساس للدراسات اللغوية، حيث كان له اهتمام كبير من العرب في البداية، ولكن تغيرت الأوضاع لصالح الدراسات الغربية الحديثة التي تتميز بالتطور والدقة، فاختار أحمد مختار عمر في دراسته نهجاً وسطاً بين التراث العربي والإنجازات الغربية لحماية التراث الفكري العربي ومواكبة الحضارة اللغوية، فتنوع أسلوبه بين النقد والتعليق والتعليم عند تناول قضايا الصوت اللغوي.

الكلمات المفتاحية: كتابة لسانية عربية؛ لسانيات التراث؛ قراءة شمولية؛ درس صوتي، أحمد

مختار عمر.

Abstract:

Linguistic sound studies are crucial for fundamental linguistic research. Initially, Arabs led these studies, integrating them with Quranic interpretation and other Arabic sciences. However, the West eventually took the lead in modern linguistics, especially in sound studies, due to their advanced research tools. Ahmed Mokhtar Omar bridged tradition with modern Arabic linguistic writing and Western achievements, aiming to protect and modernize Arabic linguistic heritage. His style blends criticism, commentary, pride, and education when discussing linguistic sound issues among Arabs and the West. This text explores these themes.

* - المؤلف المراسل.

Keywords: Arabic Linguistic Writing; Heritage Linguistics; Comprehensive Reading; Phonetic Study; Ahmed Mokhtar Omar.

مقدمة:

للعرب دور محوري في دراسة الأصوات اللغوية، حيث انطلقت جهودهم منذ القرن الهجري الأول متأثرة بالقرآن الكريم، فقدموا إسهامات بارزة تُظهر فهماً دقيقاً لبنية الأصوات وصفاتها ومخارجها، ما شكّل مرجعاً أثرى الفكر اللساني العالمي، لكن بمرور الزمن، وتحديدًا بعد القرن التاسع بعد الهجرة، شهدت الدراسات العربية فترة من الركود، طغى فيها التقليد على الابتكار، وتوقفت حركة التطوير في علوم اللغة، ومع بداية النهضة واحتكاك العرب بالغرب المتقدم في المجالات الفكرية واللسانية، استعاد العرب وعيهم بضرورة النهوض الحضاري، لیبدؤوا مسيرة جديدة من الدراسات اللغوية واللسانية، مزاجين بين التراث والمعاصرة.

مشكلة الدراسة ومنهجها: تسليط الضوء على توجهات الكتابة اللسانية العربية الحديثة، مع التركيز على الجانب التراثي وموقع الصوتيات في هذا السياق، من خلال أعمال أحمد مختار عمر، ولمعالجة هذه الإشكالية لابد من الاعتماد على: المنهج التاريخي والوصفي التحليلي، وفي المقارن في بعض المواضع.

أهداف الدراسة:

✓ تَوْضِيحُ مَسَالِكِ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي فَرَضَتِ الدِّرَاسَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَقْسِيمَهَا عَلَى ذَلِكَ النِّحْوِ، انْطِلَاقًا مِنْ رُؤْي ثَلَاث، إِمَّا مِنْهَجًا أَوْ مَوْضوعًا أَوْ أَهْدَافًا.

✓ التذكير ببراعة العرب وأسبقيتهم في مجالات اللغة العربية المختلفة، وخاصة في "مجال الأصوات" الذي يحتل الحيز الأساس في مختلف المستويات اللغوية، وكيفية الاستفادة اللسانية الغربية منه وتطويره.

✓ بَرَاةُ الْغَرْبِ فِي تَنَاوُلِ قَضَايَا الدَّرْسِ الصَّوْتِيِّ وَتَطَوُّرِهِمْ فِي الْوُصُولِ إِلَى أَدَقِّ النَّتَائِجِ، بِذَلِكَ يَحُلْ عَلَى سَاحَةِ الدَّرْسِ الصَّوْتِيِّ مُصْطَلَحَاتٍ جَدِيدَةً حَدَائِثِيَّةً، لِيَتَلَقَّاهَا الْعَرَبِيُّ بَعْدَ دِرَاسَةٍ وَفَهْمًا، وَمُصْطَلَحَاتٍ أُخْرَى مَوْجُودَةٌ فِي تَرَاثِنَا الْعَرَبِيِّ أَلْفِينَاها فِي اسْتِعْمَالَاتِ الْغَرْبِ أَيْضًا.

✓ وَضَعَ نَمُودَجَ لِسَانِيَّ عَرَبِيَّ حَدَاثِيَّ "أَحْمَدُ مُخْتَارِ عَمَرَ" تَحْتَ مِجْهَرِ الدِّرَاسَةِ، وَتَتَبَعَ مِنْهَجَهُ فِي تَنَاوُلِ مَوْضُوعِ الدَّرْسِ الصَّوْتِيِّ مِنْ خِلَالِ تَوَجُّهِهِ فِي الْكِتَابَةِ، وَمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الدَّرْسِ الصَّوْتِيِّ الْعَرَبِيِّ وَالْغَرِبِيِّ.

الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ: مِنْ الْجُهُودِ السَّابِقَةِ الْأُولَى فِي هَذَا الْمَجَالِ نَجِدُ:

✓ مُصْطَفَى غُلْفَانُ وَمُؤَلِّفَاتِهِ الْغَزِيرَةُ وَالْغَنِيَّةُ عَنِ التَّعْرِيفِ مِثْلُ: "اللِّسَانِيَّاتُ الْعَرَبِيَّةُ الْحَدِيثَةُ أَسْئَلُهُ الْمَنْهَجِ"، وَ "اللِّسَانِيَّاتُ فِي الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَدِيثَةِ: حَفَرَاتٌ فِي النُّشْأَةِ وَالتَّكْوِينِ"، وَ "اللِّسَانِيَّاتُ الْعَرَبِيَّةُ الْحَدِيثَةُ: دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ فِي الْمَصَادِرِ وَالْأَسُسِ النَّظَرِيَّةِ وَالْمَنْهَجِيَّةِ".

✓ إِبْرَاهِيمُ أَنْيسُ "الْأَصْوَاتُ اللُّغَوِيَّةُ"، كِتَابُهُ يُعَدُّ أَوَّلَ مُحَاوَلَةٍ عَرَبِيَّةٍ فِي وَصْفِ الصَّوْتِ الْعَرَبِيِّ وَصْفًا دَقِيقًا، جَامِعًا بَيْنَ جُهُودِ الْقُدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ، مِنْ أَجْلِ التَّأَكِيدِ عَلَى أَسْبَقِيَّةِ الْجُهْدِ الْعَرَبِيِّ فِي الدَّرْسِ الصَّوْتِيِّ.

✓ فَاطِمَةُ الْهَاشِمِيَّ بِكُوشُ "نُشْأَةُ الدَّرْسِ اللِّسَانِيِّ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ: دِرَاسَةٌ فِي النُّشْاطِ اللِّسَانِيِّ الْعَرَبِيِّ"، الَّتِي حَاوَلَتْ مِنْ خِلَالِ مُؤَلِّفَتِهَا هَذَا بَيَانَ الْحُدُودِ الثَّقَافِيَّةِ وَالنَّارِيخِيَّةِ لِلِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ، وَحَاوَلَتْ جَمَعَ وَتَرْتِيبَ كُلِّ الْجُهُودِ اللِّسَانِيَّةِ فِي التَّأْصِيلِ لِلِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ.

عَلَى غِرَارِ الْعَدِيدِ مِنَ الدِّرَاسَاتِ الْأَكَادِيمِيَّةِ، الْمُتَرَاوِحَةِ بَيْنَ أَطَارِحِ الْمَاجِيسْتِيرِ وَالدُّكْتُورَةِ وَالْمَقَالَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالنَّظَاطُورَاتِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْمُلْتَقَفَاتِ الَّتِي تَزُخْرِيهَا الْجَامِعَاتُ وَالْمَرَكَزُ الْفِكْرِيَّةُ الْمُهْتَمَّةُ بِالْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ عَامَّةً وَاللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ خَاصَّةً.

1- واقع اللسانيات العربية:

يعكس الواقع الذي يعيشه البحث اللساني العربي الحديث حالة من الاضطراب والضبابية نتيجة تضارب الآراء والمواقف بين المفكرين العرب، بالرغم من وجود العديد من المؤلفات التي تحمل عنوان "اللسانيات العربية" إلا أن هذه الأعمال تسعى إلى تأكيد استقلالية هذا العلم عن التأثيرات الغربية، مما يعكس صراعاً بين التمسك بالتراث وفتح آفاق جديدة، والتاريخ يُظهر أن الاحتكاك الأول بين العرب والغرب له تأثير كبير على الفكر العربي، حيث أُعجب العرب بكل جوانب الحياة الغربية، خاصة في المجالات اللغوية، وقد

تأثرت الدراسات العربية باللسانيات السوسيرية، مما دفعهم إلى محاولة نقل النهضة الفكرية الغربية إلى البلاد العربية بهدف "إحياء النمط اللساني العربي" وتحرير اللغة من قيود النحو، ومع ذلك ظهرت مجموعة من المدافعين عن التراث العربي، معتبرين أن التخلي عنه يعد تجاوزاً وإهانة لهويتهم، في هذا السياق، بُذلت محاولات للتوفيق بين الاتجاهين المتعارضين، رغم الفوضى وعدم التوافق على موقف لساني واحد.

وَجَدَتْ اللِّسَانِيَّاتُ الْعَرَبِيَّةُ نَفْسَهَا أَمَامَ ضَرُورَةِ إِقَامَةِ وَضْعٍ جَدِيدٍ فِي الْبَحْثِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ، وَحَيْثُ إِنَّ قِيَامَ مِثْلٍ هَذَا الْوَضْعِ كَانَ مُرْتَبِطاً بِضَرُورَةِ نَقْلِ اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ سِيَاقِهَا الْمُعْرِفِيِّ إِلَى سِيَاقِ ثَقَافَةٍ أُخْرَى هِيَ الثَّقَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى اللِّسَانِيِّينَ الْعَرَبَ أَنْ يُعِيدُوا النَّظَرَ فِي الْمَوْرُوثِ اللُّغَوِيِّ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ أَدَقَّ مَهْمَةٍ وَاجِبَتْ مَشْرُوعُهُمْ [...] غَيْرَ أَنَّ الْمَهْمَةَ الْكُبْرَى كَانَتْ إِقْتِرَاحَ أَنْمُودَجٍ وَصَفِيٍّ جَدِيدٍ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهِيَ مَهْمَةٌ أُرْبِكَتْ لِسَانِيَّيْنَا فِي بَدَايَةِ التَّأْلِيفِ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ [...] أَمَّا صَوْرُ النَّشَاطِ نَفْسَهُ فَقَدْ اقْتَصَرَتْ عَلَى حَرَكَةِ التَّأْلِيفِ الَّتِي تَنَوَّعَتْ بَيْنَ مُصَفَّاتٍ عَنِيَتْ بِدَرَأَةِ مُسْتَوِيَّاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ضَوْءِ الدِّرَاسَاتِ اللِّسَانِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، وَأُخْرَى حَاوَلَتْ تَقْدِيمَ اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ لِلْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ، ثُمَّ تِلْكَ الَّتِي كَرَّسَتْ لِنَقْدِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ مِنْ وَجْهَةِ النَّظَرِ الْحَدِيثَةِ¹ لِيَكُونَ بِذَلِكَ تَصْنِيفُ الْكِتَابَةِ اللِّسَانِيَّةِ أَصُوبَ الْخُلُولِ الَّتِي قَامَ بِهَا اللَّسَانِيُّونَ لِيَتَنَظَّمِ مَشْهَدُ اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ.

2 تصنيف الكتابة اللسانية العربية الحديثة:

قَامَ مُصْطَفَى غَلْفَانُ بِتَصْنِيفِ الْكِتَابَاتِ حَسَبَ مَعَايِيرِ ثَلَاثٍ، وَهِيَ "الْمَوْضُوعُ وَالْمَنْهَجُ وَالْغَايَةُ".

2.1 الْمَوْضُوعُ: هُوَ مَادَّةُ الْبَحْثِ الَّتِي يَبْحَثُ فِيهَا اللَّسَانِيُّ وَيُؤَلِّفُ فِيهَا، وَهُوَ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى أَنْوَاعٍ: "النظريات اللسانية، والتراث اللغوي العربي، واللغة العربية الفصحى القديمة أو الحديثة أو إحدى لهجاتها"

¹ بكوش فاطمة الهاشمي، (2004م)، نشأة الدرس اللساني الحديث، ط1، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع،

2.2 المنهج: فهو المسار المتبع في البحث، والذي يكون في اللسانيات العربية إما: "منهجًا تعليميًا ترتبًا للمبتدئين، أو منهجًا لإعادة قراءة التراث اللغوي وفق مقاربة لسانية، أو أحد المناهج البارزة في الساحة الفكرية الحديثة. كالمقارن أو التاريخي، أو الوصفي"

2.3

2.4 أما الغاية: فهي ما يرمي الباحث لتحقيقه من خلال كتابته، والتي تكون في اللسانيات العربية: "تقديم المعرفة في أبسط وأيسر صورة، والتوفيق بين ما قدمه التراث اللغوي وبين مضمون النظرية اللسانية الحديثة. وتغيير السمة الغالبة التي طبعت الظواهر اللغوية القديمة أو الحديثة، إلى وصف جديد وتفسير حديث" وفقًا لهذه المعايير، يمكن تحديد ثلاثة أنواع متميزة من الكتابة اللسانية، وهي:

الكتابة اللسانية	موضوعها	منهجها	غايتها
التمهيدية أو التبسيطية	النظريات اللسانية الحديثة وما تقدمه من مبادئ جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة	المنهج التعليمي القائم على الوضوح والتبيان والشرح.	تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية بشكل مبسط قصْد تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي وتقريبها منه.
لسانيات التراث	التراث اللغوي العربي القديم	منهج إعادة القراءة	تأويل التصورات اللغوية العربية القديمة من منظور البحث اللساني الحديث، والتوافق بينهما. وإخراج التراث في حلة جديدة تبين قيمته التاريخية والحضارية والتأكيد على احتوائه للمضامين اللسانية الحديثة.

الكتابة اللسانية العربية الحديثة في وجهتها التراثية
قضايا الدرس الصوتي عند أحمد مختار عمر نموذجاً

لسانيات العربية	المستويات المختلفة لبنية اللغة العربية، باعتبارها نسقاً صورياً أو وظيفياً يُمكِن وصفه أو تفسيره في مختلف المستويات المعروفة في التحليل اللساني الحديث من صوت وصرف وتركيب ودلالة	المناهج العلمية المتداولة في البحث اللساني الحديث، كالمقارن والوصفي والتاريخي	تقديم وصف جديد على نهج غير مسبوق لبنيات اللغة العربية، وفق ما وصل إليه البحث اللساني ¹
--------------------	---	---	---

3 لسانيات التراث:

يُعدُّ التراث اللغوي العربي حلقة أساسية في الفكر الإنساني لا يمكن تجاهله أو إنكار وجوده، فدراسته اليوم تتطلب مقارنته وفقاً لمتطلبات اللسانيات الحديثة، ينطلق هذا التصور من ضرورة تحديث التراث العربي ليتماشى مع روح العصر، مؤكداً على دوره في احتواء المضامين اللسانية الحديثة، وهو ما تشير إليه بعض المؤلفات العربية مثل "المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث" لمحمد أحمد أبو الفرج و"النحو العربي والدراسة الحديثة" لعبده الراجحي و"التراث العربي ومناهج المحدثين في الدرس اللغوي" لرمضان عبد التواب، فمن خلال استقراء هذه المؤلفات، يميز مصطفى غلفان بين ثلاثة أنواع من القراءات في لسانيات التراث، وهي:

3.1 القراءة الشمولية:

تتناول هذه القراءة التراث العربي أو النظرية اللغوية عند العرب بشكل شامل، مع التركيز على إثبات تفوق العرب في العديد من القضايا المتعلقة بالبحث اللساني، فيؤكد بعض الباحثين مثل تمام حسان وعبد الراجحي، أن البنية اللغوية تعود في أصولها إلى اللساني دي سوسير، لكنهم يشددون على أن النحو العربي قد عرف هذا الاتجاه، خاصة في دراسة الصيغ والضمائر بأنواعها المتصلة والمنفصلة، كما تعود أصول النظرية التوليدية إلى نعوم

¹ ينظر: غلفان مصطفى، (2013م)، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ط1، دار ورد الأردنية للنشر

تشومسكي، وقد حظيت باهتمام واسع عند اللسانيين في مختلف أنحاء العالم، فإنها تعتمد بشكل كبير على النحو العربي، حيث أظهر تشومسكي تشابهات بين النحو التوليدي ونحو سيويه، خاصة في باب "اللفظ للمعاني" من كتاب سيويه.

3.2 القراءة القطاعية: نُعرف بدراستها لجزء محدد من التراث اللغوي، الذي يتضمن

مجموعة من النظريات والمستويات مثل الصوت والصرف والنحو والمعجم والدلالة، وتنقسم هذه المستويات إلى مستويين رئيسيين.

المستوى الأول: خاص بالأصول الإستمولوجية التي تحتوي على "الموضوع والمنهج والفروع"

فالموضوع: كُلُّ مِنَ التَّارِثِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ وَاللِّسَانِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ يَتَفَقَّانِ عَلَى أَهَمِّيَّةِ دِرَاسَةِ اللُّغَةِ، وَمِنَ الْمُنْطَقِيِّ أَنْ نَقْدِمَ تَعْرِيفًا لَهَا كَوْنَهَا هِيَ مَوْضُوعُ الدِّرَاسَةِ، فَالتَّعْرِيفُ الشَّائِعُ لِلُّغَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ الْقَدَمَاءِ، كَمَا وَرَدَ فِي أَقْوَالِ ابْنِ جَنِي وَابْنِ خَلْدُونِ، يَتِمَّاسَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْجَوَانِبِ مَعَ تَعْرِيفَاتِ اللِّسَانِيِّينَ الْمُحْدَثِينَ، فَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، عِنْدَمَا يَصِفُ ابْنُ جَنِي اللُّغَةَ بِأَنَّهَا أَصْوَاتٌ يُعْبَرْ بِهَا النَّاسُ عَنْ أَفْكَارِهِمْ، يُشِيرُ سَائِرُ إِلَى أَنَّهَا وَسِيلَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ لِتَوْصِيلِ الْأَفْكَارِ مِنْ خِلَالِ نِظَامٍ مِنَ الرُّمُوزِ، مِمَّا يُوجِي بِاتِّفَاقِهِمَا عَلَى الطَّبِيعَةِ الصَّوْتِيَّةِ لِلُّغَةِ.

ناقش تمام حسان ثنائية سوسير بين اللغة والكلام، التي سبق إليها السيوطي في "المزهر"، من جهة أخرى أشار ميشال زكريا إلى ثنائية القدرة والإنجاز التي تناولها تشومسكي، والتي سبق إليها ابن خلدون في تمييزه بين الملكة اللسانية وصناعة العربية.

يجمع الباحثون على أهمية الوظيفة التواصلية للغة وارتباطها الوثيق بـ"القوم" كما يقول ابن جني، و"الأمة" كما يشير ابن خلدون، و"المجتمع والجماعات اللغوية" وفقًا للمحدثين، قام "حسام الهنساوي" بجمع المسائل التي تناولها العرب والتي تتقارب مع النظريات اللسانية الحديثة، مثل وصف اللغة بأنها أصوات، أو أنها تتألف من كلمات، أو أنها مواضعة واصطلاح، اللغة قائمة على مستويين: مستوى الأصوات ومستوى الكلمات... إلخ، هذه المفاهيم تتوافق مع ما طرحته اللسانيات الغربية الحديثة.

أما المنهج: فهو الطريقة التي تحدد هوية العلم ومعالمه، بذلك فالمناهج متنوعة، وإن اشتركت في دراسة اللغة فهي تتفرع إلى مدارس مختلفة حسب تعاملها معها، كالاتجاه الوصفي، والمقارن، والتاريخي... إلخ.

يعتبر المنهج الوصفي البنوي الذي يُنسب إلى اللسانيات الغربية مع سوسير ذا جذور عربية، حيث أكد الباحثون مثل تمام حسان وعبد الرأجي وإميل بديع يعقوب أن العرب اتبعوا هذا المنهج في دراساتهم، فقد اعتمد النحاة العرب على الملاحظة المباشرة للنصوص، مما يجعل مدرسة الكوفة نموذجاً بارزاً للمنهج الوصفي.

أما المنهج التوليدي فقد وجد لسانيو التراث العديدين من المبادئ التوليدية قائمة في النحو، فلجل إثبات هذا قام عبد الرأجي بعملية جمع القضايا التوليدية الموجودة في التراث العربي وموجودة أيضاً في الدرس اللساني الحديث، فأشار إلى قضية العامل، وقواعد الحذف، وقواعد الزيادة أو الإقحام، وقواعد إعادة الترتيب وغيرها الكثير والعديد من القضايا النحوية التي يخدمها المنهج التحويلي التوليدي، والتي ظهرت أيضاً في الدرس اللساني الحديث¹

أما الفروع: فهي ما يندرج تحتها المستويات اللغوية الأربعة "الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والدلالي".

المستوى الصوتي: اهتمام العرب بالصوت كان فيما أطلقوا عليه "علم التجويد" وما درسته اللسانيات هو "الفونيتيك".

المستوى الصرفي: هو ما يختص بدراسة صيغ الكلمة وما يطرأ عليها من متغيرات في البنية والمعنى وينسب إلى سيبويه، وما درسته اللسانيات هو "المورفولوجيا".

المستوى التركيبي: يختص بدراسة القواعد التي تحكم بناء الجملة وتركيبها وعلاقة أجزائها ببعضها البعض، وطريقة تراكب الجمل بعضها مع بعض، وينسب إلى سيبويه وهذا النوع من الدراسة يعرف في اللسانيات الحديثة بالسانتاكس.

المستوى الدلالي: يتمثل في جهود اللغويين في جمع مفردات اللغة وتصنيفها فيما بعد حسب الموضوعات، وفي اللسانيات الحديثة يسمى السيمانتيكس Semantics.

أما المستوى الثاني من مستوى القراءة القطاعية فهو مستوى البحوث الإجرائية أو التطبيقية المتمثلة في البحوث "الصوتية والتركيبية والدلالية".

¹ * وللاستزادة والتعمق في هذه التقاطعات المنهجية فهي في مؤلف "النحو العربي والدرس الحديث"

لعبد الرأجي.

3.3 قراءة النموذج الواحد: تركز على إبراز التراث العربي من خلال دراسة نماذج من الشخصيات اللغوية الفذة، تهدف إلى تسليط الضوء على جهود هؤلاء الشخصيات وأفكارهم اللغوية، بالإضافة إلى طرق تناولهم للغة في التأليف والتنظير¹

الهدف الأساسي من لسانيات التراث، هو دراسة التراث العربي وتقديمه بجانب الدراسات اللسانية الحديثة، مع التأكيد على أسبقية الفكر العربي في مختلف الظواهر اللغوية واللسانية، ورغم أن بعض الجزئيات البسيطة قد غابت عنهم، فقد استدرکها العلم الحديث، إلا أن النظريات الكبرى والأساسية لم تغفلها الدراسات في تراثنا القديم، سنلاحظ هذا الآن عند التطرق إلى نموذج "الصوت" وكيف درسه العرب القدماء ووضعوا له العديد من النظريات، وكيف تقاطع مع الدرس اللساني الحديث، وفق رؤية اللساني التراثي أحمد مختار.

4 أحمد مختار عمر والدرس الصوتي العربي التراثي:

يُعتبر أحمد مختار عمر من اللسانيين البارزين في الساحة اللغوية العربية الحديثة، حيث تناول مجموعة متنوعة من القضايا اللغوية، مع التركيز على التراث العربي مقارنة بالدراسات اللسانية الغربية، من بين اهتماماته البارزة كانت قضية الدراسة الصوتية، حيث ألف عدة مؤلفات مثل "البحث اللغوي عند العرب" الذي يبرز أهمية الدراسات الصوتية في العصور القديمة، و"معجم القراءات القرآنية" الذي يقدم تحليلاً لطرق قراءة القرآن، وفي كتابه "دراسة الصوت اللغوي" ناقش الأصوات كما يدرسها اللسانيون الغربيون، ثم انتقل لدراسة الأصوات في اللغة العربية.

انطلاقاً من كتابه "البحث اللغوي عند العرب" يقول أحمد مختار عمر (يعتبر علماء اللغة المحدثون دراسة الأصوات أول خطوة في أي دراسة لغوية، لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة ونعني بها الصوت، الذي هو المادة الخام للكلام الإنساني، أما اللغويون العرب فلم ينظروا إلى الدراسة الصوتية هذه النظرة، ولم يعالجوا الأصوات علاجاً مستقلاً، وإنما تناولوها دائماً مختلطة بغيرها من البحوث)² حيث انتهج العرب في دراستهم للصوت العربي

¹ ينظر: علوي حافظ إسماعيل، (مارس 2009م)، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ط1، دار الكتب

الجديدة المتحدة، ص175، 136.

² أحمد مختار عمر، (1988م)، البحث اللغوي عند العرب، ط6، عالم الكتب، القاهرة، ص93.

نَهْجًا مُخْتَلَفًا عَنِ اللّسانِيّات الحَدِيثَة، فَهَمْ لَمْ يَعتَبَرُوا الصَّوْت عِلْمًا مُستَقِلًّا، بَلْ كان دَائِمًا
جُزْءًا مِنَ الدَّراسات اللّغويَة الأُخْرى مِثْل النّحو والصّرف والتّجويد والبلاغة.

4.1 النّحويون (خَصَّصُوا بَعْض الأبواب فِي كُتُبِهِم النّحويَة لِهَذِهِ الدَّراسة، بَلْ إِنْهَمْ لَمْ
يَقْصِدُوهَا لِذاتِها وإِنَّمَا لِغَيرِها، حَيْثُ اعتَبَرُوهَا تَمْهيدًا، أَوْ مَدْخَلًا لِدِراسة ظاهِرَة الإِدْغام،
والْحَدِيث عَنِ قِواعِد الإِعْلال والإِبْدال، وَقَدْ عالَج سِيبَوِيه "الإِدْغام" فِي نِهاية مُؤَلَّفِهِ "الْكتاب"
وعالَج الأصْوات قَبْل مِعالِجَة الإِدْغام، وعالَج المَبْرَد فِي كِتابِهِ "المُقْتَضَب" الإِدْغام فِي الجُزْء
الأوّل وَقَدَّم لَهُ بِدِراسة لِلأَصْوات وَمُخارِجِها، كَذَلِكَ أنْهى الزّجاجي كِتابَهُ "الجَمْل" بِالْحَدِيث
عَنِ الإِدْغام، وَمَهَّد لِحَدِيثِهِ بِبَعْضِ الأفْكار الصَّوْتِيَة، وَأَنْهى الرّمْخَشْري كِتابَهُ "المُفَصَّل"
بِالإِدْغام، وَقَدَّم بَيْن يَدَيْهِ دِراسة لِلأَصْوات)¹ لَمْ يُدْرَس الصَّوْت عِنْد النّحويّين لِأَجْلِ ذِاتِهِ،
بَلْ جاء لِدراسة عِلاقَتِهِ بِالإِدْغام وَارتِباطِهِ بِقِواعِد الإِعْلال والإِبْدال، لِذا كان مِنَ الضّروري
مِعرَفة طَبِيعَة الصَّوْت وَخِصائِصِهِ وَمُخارِجِهِ، حَتّى يَتِمَكَّن النّحويّ مِنَ تَطْبيق قِواعِد الإِدْغام
التي تَتطلَّب تَداعُلُ الأصْوات، كَما أَنَّ الإِعْلال والإِبْدال يَعمَدُ عَلى أصْوات المَد وَحُرُوف
العِلَّة، مِمّا جَعَلَ الإِشارة إِلى الصَّوْت فِي الدَّراسات النّحويَة ضَروريَة لِوَضْع قِواعِد النّحو.

4.2 أَمّا المُعْجِمِيون أَبْذَعُوا أَيَّما إِبْداعٍ فِي إِشارَتِهِمْ إِلى القَضائا الصَّوْتِيَة، وَضَمَّها إِلى
دِراسَتِهِمُ المُعْجِمِيَة (إِما فِي مَقَدِّمات مُعاجِمِهِمْ أَوْ فِي ثِنايا المادَّة اللّغويَة المُجمِوعَة، وَيَبْدُو
الاهْتِمام بِهَذَا النّوع مِنَ الدَّراسة فِي المُعاجِم التي رَتَبَتْ صَوْتِيا وَاتَّبَعَتْ نِظامَ التَّقْلِيبات
"كالعين" لِلخَليل)² يَعتَبَرُ الخَليل بَن أَحْمَد الفَراهِيدي (ت 175هـ) المُنْبِع الرّئِسي لِدراسة
الصَّوْت العَرَبِي، حَيْثُ وَضَعَ الأساسَ مِنَ خِلال مُعْجَمِهِ "العين" وَقَدْ مَهَّدَ هَذَا العَمَلُ لِتَأْسيْس
مِدرِسة مُعْجِمِيَة بِصِبْغَة صَوْتِيَة، فَجَمَعَ ما قِيلَ فِي اللّغَة وَرَتَبَهُ صَوْتِيًّا حَسَبَ مُخارِجِ
الحُرُوف مِنَ أَقصى الحَلْق إِلى الشِّفَتَيْنِ، بَدْءًا بِحَرْفِ العَيْنِ. (قال ابن كِيسانَ فِما حَكَى
السَّيْوطي "سَمِعْتُ مِنَ يَذْكَرُ عِنْدَ الخَليل أَنَّهُ قال: لَمْ أَبْداً بِالْهَمْزَة لِأَنَّها يَلْحَقُها النَقْصُ
والتَّغْيِيرُ والحَذْفُ، وَلا بِالْأَلْفِ لِأَنَّها لا تَكُونُ فِي ابْتِداءِ كَلِمَة لا فِي اسْمٍ وَلا فِعْلٍ إلّا زائِدَة أَوْ

¹ المِرجَع نَفْسُهُ، ص 93.

² المِرجَع السَّابِق، ص 93.

مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفيفة لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف¹

فَبِتَمَيِّزِهِ بَيْنَ مَخَارِجِ الحُرُوفِ الدَّقِيقَةِ وَكَيْفِيَّةِ حُدُوثِ الأصْوَاتِ وَتَمَيِّزِ كُلِّ مَجْمُوعَةٍ عَنِ الأُخْرَى كَالذَّلْقِيَّةِ وَالشَّفَوِيَّةِ وَالنَّطْعِيَّةِ وَاللَّثَوِيَّةِ ندرك أنه (استطاع أن ينشئ في العربية معجماً في المصطلح اللغوي الصوتي لا نعرفه قبل الخليل بهذه السعة وهذا العمق)² إذن (فقد وعى أسس التصريف -إن لم يكن ابتكر معظمها- والأبنية، وعرف خصائص اتئلاف الأصوات ونسجها، ووقف من خلال روايته الواسعة على المهمل والمستعمل ممّا يتركّب من الكلام العربي، وحدّد عن طريق العلوم الرّياضية ما تقدّمه التّقاليب من صور محتملة أحصاها إحصاء دقيقاً)³ فمعجم "العين" يعتمد على نظام التقليلات، حيث يوفر صيغاً متعددة للفظ الواحد من خلال قلب حروفه وترتيب أبوابه وفقاً لمخارج الأصوات، وقد أشار الخليل في مقدمة المعجم إلى جهاز النطق وأعضائه، مما يعكس ريادته في علم الأصوات. بالإضافة إلى ذلك ابتكر علم العروض، كما كان نحوياً بارعاً، وتأثر به تلميذه سيبويه.

وَمِنَ المَعْجَمِ المُعْتَمَدَةِ عَلَى نِظَامِ التَّقْلِيلَاتِ وَالَّتِي لَابَدَ أَيْضًا تَدْرُسُ الأصْوَاتِ، هُوَ مُعْجَمُ الجَمْعَةِ لِابْنِ دَرِيدٍ الَّذِي أَشَارَ فِي مُقَدِّمَةِ مُعْجَمِهِ إِلَى عَدِيدِ القَضَائِمِ الصَّوْتِيَّةِ وَالَّتِي لَخَّصَهَا أَحْمَدُ مُخْتَارَ عُمَرُ فِيمَا يَلِي (الحديث عن نسج الكلمة العربية والحروف التي تأتلف أو لا تأتلف [...] حديثها عن الأصوات الرخوة والأصوات المطبقة والأصوات الشديدة، تعرضها لنسبة تردّد الأصوات في اللغة العربية، وادّعاؤها أن أكثر الحروف استعمالاً في اللغة هي الواو والياء والهاء، وأقلها الظاء ثم الذال ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم)⁴

¹ عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (د.ت)، كتاب العين، ج 1، (د.ط) تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ص 17.

² المرجع نفسه، ج 1، ص 12.

³ أحمد محمد قدور، (1998م)، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدّمة كتاب العين. د.ط.

دار الفكر، دمشق، ص 20.

⁴ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 95.

4.3 دور علماء التجويد والقراءات القرآنية: يُعتبرون من أبرز الرواد في مجال الصوتيات بسبب اهتمامهم الكبير بالنطق والقراءة، وبذلوا جهوداً كبيرة لضبط وتقعيد الدراسة الصوتية، مما ساهم في تجنب اللحن والاضطراب في تجويد القرآن الكريم. وَمَعَ ذَلِكَ يقول أحمد مختار عمر (ولسنا نملك في هذا النوع من الدراسة مادة كافية تسمح بتتبع تطوره ووصف المراحل التي قطعها حتى صار علماً مستقلاً هو "علم التجويد" [...]) ويبدو أن نشأة علم التجويد جاءت استجابة لدعوة ابن مسعود، ومحاولة لتقنين قواعد القراءة اقتفاء لأثره وأصبح كل كتاب للتجويد -فيما بعد- يشتمل -إلى جانب قواعد التلاوة- على فصل في مخارج الحروف وطريقة نطقها وصفاتها كما فعل ابن الجزري في كتابه "النشر" الذي خصص سبع صفحات لهذا المبحث وحده، كذلك ترددت في كتب التجويد مصطلحات صوتية مثل: الإشمام، والإشباع، والاختلاس، والمد، والتفخيم، والترقيق، ونحوها¹ وفي "مُعْجَم الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ" توسع في هذا المجال واعتمد فيه ما ورد في التراث من قراءات مُتَنَوِّعة.

4.4 الدراسات البلاغية: البلاغيون وأصحاب التذوق اللغوي والصوتي أسهموا إسهامات لا يغفل عنها عربي، فقد أشار أحمد مختار عمر إلى جهودهم القيّمة قائلاً (وأدلى المؤلفون في إعجاز القرآن وعلوم البلاغة بدلهم مع الدلاء وزودوها بمعلومات صوتية ذات قيمة، ومعظم ما شغلهم من مباحث الأصوات يتعلق بتنافر الأصوات وتألفها وأستتبع هذه بالضرورة حديثاً عن مخارج الحروف وهل للقرب أو البعد المخرجي دخل في التنافر أو التألف)² وأكد على ذلك من خلال ما عرضه من مجموعة الآراء والدراسات فمثلاً عن قضيّة تألف الأصوات وتنافرهما، يذكر:

ما أشار إليه الرماني في رسالته "النكت في إعجاز القرآن" إلى العلاقة بين الأصوات، حيث يعتبر أن التوافق يحدث بسبب تعديل الحروف في التأليف، بينما يحدث التنافر بسبب بُعد أقرب مخارج الحروف. يؤكد ابن سنان الخفاجي في "سر الفصاحة" أن التنافر ليس مرتبطاً

¹ المرجع نفسه، ص 95-96.

² المرجع السابق نفسه، ص 96.

بُعد المخارج بل بقرها، مستشهداً بكلمة "ألم" التي رغم تباعد حروفها، لا تتنافر. وقد دعم رأيه بقضية الإدغام والإبدال، حيث يحدثان لتجنب تقارب الحروف.¹

4.5 الموسوعات الأدبية: يتناول هذا النوع من المؤلفات عديد الموضوعات في كتاب واحد، وقد بدأ أحمد مختار عمر بالحديث عن الجاحظ وموسوعته "البيان والتبيين" مشيراً إلى بعض الأمثلة من جهوده حيث ذكر ما يلي:

- عُيُوب النُّطْق والتي تحدث نَتِيجَة عِدَّة أَسْبَاب:

- حينما يدخل المتكلم الكلام بغضه في بغض يُسَمَّى اللَّفْفَ وَسَبَبَ هَذَا الْعَيْبِ هُوَ السَّرْعَة.
- وأما إنَّ كَانَ السَّبَبَ غَضُوباً كَسُقُوطِ الْأَسْنَانِ يُؤَدِّي إِلَى صَفِيرٍ مِنْ مَوْضِعِ الثَّنَائِيَا الْمُتْرُوعَة وَقَدْ قَالَ الْجَاحِظُ إِنَّ سُقُوطَ جَمِيعِ الْأَسْنَانِ أَوْضَحَ فِي بَيَانِ الْحُرُوفِ مِنْهُ إِذَا سَقَطَ بَعْضُهَا أَوْ خَالَفَ شَطْرَ مِنَ الْأَسْنَانِ آخَرٍ، فَسُقُوطُهَا كَامِلَةٌ أَرْحَمُ مِنْ بَقَاءِ بَعْضِهَا.
- وَالثَّلْغَة -أَبَانُ الْجَاحِظِ- أَتَمَّتْهَا تَكُونُ فِي حُرُوفٍ أَرْزَعٍ تَدْخُلُهَا حُرُوفٌ أُخْرَى، فَلِثَغَةُ الْقَافِ تَكُونُ بِقَلَمِهَا "طَاءٌ" وَلِثَغَةُ السِّينِ "تَاءٌ" وَلِثَغَةُ اللَّامِ "يَاءٌ" أَوْ "كَافٌ" وَلِثَغَةُ الرَّاءِ "يَاءٌ" أَوْ "عَيْنٌ" أَوْ "ذَالٌ" أَوْ "طَاءٌ".

- وَأَشَارَ أَيْضًا إِلَى نَسْجِ الْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَنَّ بَعْضَ الْحُرُوفِ يَجِبُ أَنْ لَا تَقْتَرِنَ بِبَعْضِهَا فِي الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ لَا بِتَقْدِيمٍ وَلَا بِتَأْخِيرٍ كَالْجِيمِ الَّتِي لَا تَقَارَنُ الطَّاءَ وَلَا الطَّاءَ وَلَا الْغَيْنَ.

- وَبَيَّنَّ أَنَّ الْحُرُوفَ "الْيَاءَ وَاللَّامَ وَالْألفَ وَالرَّاءَ" أَكْثَرَ الْحُرُوفِ تَرْدَادًا فِي كَلَامِنَا الْيَوْمِيِّ فَالْحَاجَةُ إِلَيْهَا شَدِيدَةٌ.

وَعَنْ مَنْهَجِ الْجَاحِظِ الصَّوْتِي فِي هَذِهِ التَّجَرِبَةِ، مِنْ حَيْثُ أَخَذَ عَيْنَهُ مِنَ الْمَادَّةِ الْمَدْرُوسَةِ وَالتَّوَصَّلَ إِلَى نَتِيجَةِ مِنْهَا ثُمَّ تَعْمِيمَ الْحُكْمِ عَلَى كُلِّ الدِّرَاسَةِ، فَهُوَ مَنْ أَحَدَثَ الْمَنَاهِجَ الْمُتَّبَعَةَ حَدِيثًا² وَهُوَ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ بِالْمَنْهَجِ الْإِسْتِقْرَائِيِّ.

أشار أحمد مختار عمر إلى أن العرب لم يقدموا دراسة صوتية مستقلة، بل كانت جزءاً من دراسات أخرى، كما أشار أيضاً إلى وجود أول دراسة عربية تراثية صوتية مستقلة في مؤلف واحد مخصص للصوت، فيقول (وأول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل

¹ ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 96-97.

² ينظر المرجع السابق نفسه، ص 99-100.

ونظر إليها على أنها علم مستقل بذاته ابن جني المتوفي عام 392 في كتابه "سر صناعة الإعراب" الذي تناول الموضوعات الصوتية الآتية: "عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها، وبيان الصفات العامة للأصوات وتقسيمها باعتبارات مختلفة، وما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف، ونظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج" [...] ويجدر بنا ونحن نتحدث عن ابن جني أن ننبه إلى شيئين اثنين: "أن ابن جني كان أول من استعمل مصطلحا لغويا للدلالة على هذا العلم ما زلنا نستعمله حتى الآن وهو "علم الأصوات" و"أن ابن جني يعتبر الرائد في هذه الدراسة"¹

أشاد أحمد مختار عمر بإسهامات ابن جني، معتبراً إياه الرائد الأول في علم الصوتيات، حيث لم يسبقه أحد في هذا المجال، كما أثنى على إنتاج ابن سينا في مؤلفه "الرسالة" بعنوان "أسباب حدوث الحرف" الذي تناول فيه نظرياته وتطبيقاته المتعلقة بالصوت من جوانب مادية ومحسوسة، فجاء ترتيبه للموضوعات كما يلي: "المقدمة، ثم سبب حدوث الصوت، ثم سبب حدوث الحروف، ثم تشرح الحنجرة واللسان، ثم معالجة الحروف العربية من خلال كيفية صدور كل حرف والعملية العضوية التي تحصل خلال النطق بكل حرف، ثم الإشارة إلى الأصوات غير العربية كالسين الزائفة، والزاي السيئ، والزاي الطائفة، والفاء الشبيهة بالباء، ثم بيان طرق أخرى لإنتاج الأصوات بحركات غير نطقية كالطاء التي تحدث عند التصفيق بحيث لا تنطبق الراختان"، ومن أمثلة ما اهتمى إليه ابن سينا:

- العملية الصوتية تقوم على ثلاث عناصر أساسية وهي: جسم متذبذب، ووسط ناقل للذبذبات، وجسم مستقبل للذبذبات، وهو نفسه ما جاءت به النظرية الحديثة المتطورة.
- للأذن قابلية لإدراك الأصوات بترددات معينة وكلما زادت شدة الصوت تسببت في الأذى حتى أن الأصوات الشديدة والقوية تسبب في تحطيم الأشياء.

¹ المرجع السابق نفسه، ص 100-101.

- يُعَبَّرُ عَنْ انتاج الصَّوْتِ بِلَفْظِ الحَبْسِ وَمُسْتَقَاتِهِ كَالْحَبْسِ وَالْحَابِسِ وَالْمَحْبُوسِ، أَمَّا كَلِمَةُ المَخْرَجِ فَهِيَ تَدَلُّ عِنْدَهُ إِلَى مَجْرَى الهَوَاءِ مِنْ أَنْفٍ أَوْ فَمٍ.
- يَسْتَعْمِلُ ابْنُ سِينَا مُصْطَلَحِي "مُفْرَدَةً وَمُرَكَّبَةً" الَّتِي هِيَ عِنْدَ سِيَبَوِيهِ "شَدِيدَةٌ وَرَخْوَةٌ" وَفِي إِصْطِلَاحِ المُحَدِّثِينَ "إِنْفِجَارِيَّةٌ وَاحْتِكَائِيَّةٌ".
- كَمَا تَحَدَّثُ عَنْ أَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي عُنْوَانِ فِي الْأَسْبَابِ الْجُزْئِيَّةِ لِحَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْعَرَبِ أَيْنَ عَالِجِ جَمِيعِ الْأَصْوَاتِ بِتَرْتِيبِ إِبْتِدَاعِهِ هُوَ عَلَى حَسَبِ الصَّوَامِتِ وَالْمُصَوِّنَاتِ وَهَذَا التَّرْتِيبُ كَالْتَّالِي "ء - ه - ع - ح - خ - غ - ق - ك - ج - ش - ض - س - ص - ز - ط - ت - د - ث - ذ - ظ - ل - ر - ف - ب - م - ن - الواو الصامتة - الياء الصامتة".
- المَصَوِّنَاتِ "الْأَلْفِ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى - الواو الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى - الياء الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى" تَرْتِيبُهُ هَذَا يُجِيلُ إِلَى ذَهَائِهِ فِي:
- التَّفَرُّقَةُ بَيْنَ "السَّوَاكِنِ" الْعِلَلِ وَالصَّوَامِتِ "المُصَوِّنَاتِ"، كَمَا فَرَّقَ بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِنَ "الواو والياء" فَتَنُوعٌ يَنْدَرِجُ فِي الصَّوَامِتِ وَنَوْعٌ آخَرُ فِي المَصَوِّنَاتِ.
- رَتَّبَ الْأَصْوَاتَ مِنَ الدَّخْلِ إِلَى الْخَارِجِ إِحْتِدَاءً بِالطَّرِيقَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَخَالَفَ سِيَبَوِيهِ فَلَمْ يَضَعْ الْأَلْفَ بِجَوَارِ الْهَمْزَةِ وَقَدَّمَ الْقَافَ عَلَى الْكَافِ، كَمَا آخَرُ أَحْرَفُ الْعِلَّةِ الْقَصِيرَةِ وَالطَّوِيلَةِ إِلَى نِهَايَةِ الْقَائِمَةِ وَكَأَنَّهُ فِي ذَلِكَ بَدَأَ بِالصَّوَامِتِ ثُمَّ أَشْبَاهَ المَصَوِّنَاتِ ثُمَّ المَصَوِّنَاتِ.
- وَعَنْ حَدِيثِهِ عَنْ مَخَارِجِ الْأَصْوَاتِ وَصِفَاتِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا فَقَدْ إِنْفَرَدَ وَأَبْدَعَ فِي ذَلِكَ بِفَضْلِ خَبْرَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ حَوْلَ تَرْكِيبِ جِسْمِ الْإِنْسَانِ وَتَشْرِيحِ أَعْضَائِهِ فَمَثَلًا عِنْدَ تَطَرُّقِهِ إِلَى حَرْفِ التَّاءِ بَيَّنَّ أَنَّهَا تَخْرُجُ بِاعْتِمَادِ الهَوَاءِ عِنْدَ مَوْضِعِ التَّاءِ بِلا حَبْسٍ، وَتَحْبَسُ عِنْدَ طَرَفِ الْأَسْنَانِ وَيُصَاحِبُهَا صَفِيرٌ خَفِيفٌ¹
- ثُمَّ أَجْمَلَ الْقَوْلَ، بِقَوْلِهِ (وضع العرب أبجدية صوتية للغة العربية رتبت أصواتها بحسب المخارج ابتداء من أقصاها في الحلق حتى الشفتين، وقد وضع الخليل بن أحمد أول أبجدية هن هذا النوع عرفتها اللغة العربية تشتمل على تسعة وعشرين رمزا [...] ولكن سيبويه في كتابه قد خالف أستاذه مخالفاً جوهرياً [...] أما ترتيب ابن جني فقد جاء موافقاً في

¹ ينظر المرجع السابق نفسه، ص 102، 110.

معظمه لترتيب سيبويه [...] تحدث العرب عن أعضاء التَّنطِق وسموا كلا منها مثل الرئة والحنجرة والحلق واللسان والشفيتين، وقسموا الحلق إلى أقصى ووسط وأدنى، واللسان إلى أصل وأقصى ووسط وظهر وحافة وطرف، وتحدثوا عن مخارج الأصوات بطريقة تفصيلية وصنفوا الأصوات بحسب المكان الذي يتم فيه التحكم في الهواء الخارج من الرئتين، وقد حصر الخليل المخارج في ثمانية، وبعضهم حدد مخارج الأصوات بطريقة أدق فوصل بالرقم إلى ستة عشر أو سبعة عشر مثل سيبويه وابن دريد وابن جني وعلماء التجويد [...] توصل العرب إلى أن طريقة التحكم في مجرى الهواء هامة في إنتاج الصوت، وقد قسّموا الأصوات على أساسها إلى شديدة ورخوة ومتوسطة، وفسروا الشديد بأنه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه، والرخو بأنه الذي يجري فيه الصوت [...] فصل العرب الأصوات المطبقة عن غيرها، وهي الأصوات المفخمة التي يشترك مؤخر اللسان في النطق بها، وذكروا أنها هي الصاد والضاد والطاء والظاء [...] قسم العرب الأصوات إلى صحيحة ومعتلة على أساس اتّساع المخرج مع العلة دون الصحيحة، [...] كذلك ميزوا في أصوات العلة بين الفتحة والألف من ناحية، والكسرة والياء والضمة والواو من ناحية أخرى [...] تحدث العرب عن أطوال أصوات العلة وقسموها إلى قصيرة وطويلة وأطول [...] كذلك تحدث الخليل وسيبويه عن عما يسمى بالانسجام الصوتي مثل إبدال السين صادًا في كلمة مثل "السويق" وإبدال الصاد زايًا في بعض اللغات إذا كانت الصاد ساكنة وبعدها صوت مجهور مثل "يصدق" التي ينطقها بعضهم "يزدق"¹

بعد كل هذا قدم ملاحظات نقدية حول الدرس الصوتي العربي، منها:

- أغلب الدراسات الصوتية العربية جاءت مقلدة لأراء الخليل وسيبويه، ولم تضيف عليهما.
- اختلاف المصطلحات، فالْخَلِيل يَقُول "الإِسْتِعْلَاء" وَسِيبويه يَقُول "الاطباق" وَابْن جَنِّي يَقُول "المَقْطَع" وَابْن سِينا يَقُول "المحبس".
- إهمالهم دراسة المقاطع وأشكالها، والنبر خاصة، وَذَلِكَ لِسَبَب -عَلَى حَسَب رَأْي أَحْمَد مُخْتار عُمَر بِالتَّأَكِيد- أَنَّ التَّبْر لَيْسَ فُونِيما فِي اللُّغَة الْعَرَبِيَّة.

¹ المرجع السابق نفسه، ص 114-119.

- افترضوا وجود حركة قبل أصوات العلة الطويلة، زاعمين أن قبل الألف فتحة وقبل الياء كسرة، لكن هذا خطأ، فالألف والياء هما نفس الحركة، لكنهما يعتبران حركتين طويلتين.
- عَدَمَ تَمَثِيلِهِمْ أَصْوَاتَ الْعَلَّةِ الْقَصِيرَةِ فِي الْكِتَابَةِ أَوَّلَ الْأَمْرِ، ثُمَّ تَمَثِيلِهِمْ لَهَا فِي فَتْرَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ بِرُمُوزٍ صَغِيرَةٍ تَثْبِتُ فَوْقَ الصَّوْتِ السَّاكِنِ أَوْ تَحْتَهُ، فَنَظَرُوا إِلَيْهَا نَظْرَةً ثَانَوِيَّةً، وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ فِي قِمَمِ الْمَقَاطِعِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.
- اعتقدوا أن صوت الهمزة من الأصوات المجهورة، لكن هذا غير صحيح، فعند نطق الهمزة تُغلق الأوتار الصوتية لفترة قصيرة ثم تنفتح فجأة مما يسمح بخروج الهواء، فالجهر يعود إلى الحركة المصاحبة للهمزة وليس إلى الهمزة نفسها.¹

5 أحمد مختار عمر والدرس الصوتي الغربي الحديث:

يقول (ولعلنا لا نكون مبالغين حين نقرر أن المظهر المتطور لعلم اللغة الحديث لم يتمثل في أي فرع من فروع علم اللغة مثلما تمثل في علم الأصوات بمناهجه المتعددة ووسائل بحثه المختلفة وبآلاته وأجهزته المتطورة التي يستخدمها الآن في ميدان الدراسة، وإذا كانت المكتبة العربية قد حوت بضعة كتب في علم الأصوات اللغوية مثل: "الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، أصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب، دروس في علم أصوات العربية لجان كانتينو وترجمة صالح القرمادي، الأصوات للدكتور كمال بشر، دراسات صوتية للدكتورة تغريد السيد عنبر، الأصوات اللغوية للدكتور محمد علي الخولي"، فهي لا تزال فقيرة جدا في هذا اللون من البحوث، بالإضافة إلى أن التطور السريع لهذا العلم يسمح في أي لحظة بعدد آخر من الكتب دون خشية التكرار مع واحد مما سبق صدوره، ولا سيما إذا كان الباحث على متابعة واتصال دائمين بآخر ما تنتجه المطبعة باللغات المختلفة)²

في كتابه "دراسة الصوت اللغوي" يتحدث عن الجهود المتطورة والمصطلحات الصوتية الحديثة المستحدثة والتي لابد سيتلقاها العربي، ففي التمهيد يقول (علم الأصوات الأكوستيكي Phonetics Acoustic فرع من علم الأصوات يهتم بدراسة الخصائص المادية

¹ ينظر المرجع السابق نفسه، ص 119، 122.

² أحمد مختار عمر، (1997 م / 1418 هـ)، دراسة الصوت اللغوي، ط6، عالم الكتب، القاهرة، ص 14.

أو الفيزيائية لأصوات الكلام أثناء انتقالها إلى السامع¹ يخاطب المتلقي العربي على أساس أنه يمتلك معرفة لغوية صوتية، أو أنه اطلع على جزء من الدراسات الصوتية الغربية الحديثة، وإذا لم يكن كذلك، فعلى الأقل يكون قد تعرف عليها من خلال الكتابات العربية التي تتناول تلك النظريات الغربية، كما يتضح في تعريفه بأكوستيكية الصوت (ومن المعروف أنّ العملية الصوتية تتضمن عناصر ثلاثة هي: وجود جسم في حالة تذبذب - وجود وسط تنتقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المتذبذب - وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات، والعنصر الذي يهمنا في هذا الفصل هو اختبرا الاضطرابات في الهواء أو في الوسط الناقل للذبذبات)² يكمل أحمد مختار عمر شرح عملية انتقال الصوت في الهواء بدقة، مع إدراج المصطلحات الأجنبية التي تعكس تطور هذا العلم، يبدأ شرحه بالإشارة إلى ما قدمه ابن سينا حول العناصر الثلاثة للعملية الصوتية - أين يسعى إلى توضيح الفروق بين الدراسات الصوتية القديمة والحديثة - حيث يعتمد العلم الحديث على وسائل متطورة، كما يشير أحمد مختار عمر في حديثه عن "علم الأصوات السمي" إلى "جهاز السمع والعملية السمعية" فيقول (وقد ثبت أن حاسة السمع قادرة على إدراك أصوات بمعدلات معينة للتردّد والتوتر لها حدّ أدنى وحدّ أعلى، فمجال التردّد للأصوات الممكن سماعها بوضوح قد يبدأ من حوالي 20 دورة في الثانية إلى 20 ألف دورة للشخص الشاب ذي السمع الجيد، وبمرور الزمن تضعف حساسية الأذن للترددات العليا، وإن زادت شدة الصوت عن مقدار معين يصبح مؤذياً ومزعجاً، ويحدث ذلك إذا بلغت شدّته 110 ديسيبل decibel، ويسبّب ألماً حاداً إذا بلغ 140 ديسيبل)³ قال ابن سينا إن الأذن قادرة على إدراك الأصوات بترددات معينة، وكلما زادت شدة الصوت، زادت احتمالية الأذى، حتى أن الأصوات القوية يمكن أن تحطم الأشياء، فيشرح أحمد مختار عمر النظرية الصوتية الغربية الحديثة برؤية متطورة، معتمداً على مبادئ تراثية عربية.

¹ المرجع نفسه، ص 19.

² المرجع نفسه، ص 20.

³ المرجع السابق نفسه، ص 49.

في حديثه عن إنتاج الصوت اللغوي، يعتبر الكلام هو نتاج لأربع عمليات منفصلة وهي:

"عملية تيار الهواء air stream، عملية التصويت phonation، العملية الأنفية الفموية oro nasal – العملية النطقية articulatory." هذه الأخيرة تعدّ أكثر العمليّات تعقيداً، وهي نتاج تنوّع الضَّغْط الذي يُصَادِفُهُ تَيَّارُ الهَوَاءِ فِي أَمَاكِن مُتَنَوِّعَةٍ مِنْ مَجْرَى الهَوَاءِ، وَهَذَا الضَّغْط يكون في أَمَاكِن مُوزَّعَةٍ عَلَى كَامِلِ الْجِهَازِ النُّطْقِيِّ، وَعَلَيْهِ فَعَدَدُ الْأَصْوَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ لِجِهَازِ النُّطْقِ إِنتَاجَهَا لَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْحَصْرِ، وَالتَّجْدِيدِ الَّتِي لِنِقَاطِ الْإِنْتِاجِ هُوَ الْأَكْثَرُ شُيُوعًا:

التصنيف المخرجي	العضو الأسفل	العضو الأعلى
شففتاتي	Bilabial	الشفة العليا
شفوي أسناني وما بين أسناني	Labiodental Interdental	الأسنان العليا
أسناني	Dental	الأسنان العليا
لثوي	Alveolar	حد اللسان
التوائي	Retroflex	طرف اللسان
غاري	Palatal	مقدم اللسان
طبقي	Velar	مؤخر اللسان
لهوي	Uvular	اللهاة

يضيف مناطق إنتاج صوت أخرى كالحلق والحنجرة، ولا يقوم الفم والأنف بدور فيهما أبداً، أي لا يوجد أي احتكاك أو صوت يمكن إدراكه، وقد أطلق Glesson على هذا النوع اسم الأصوات الرنينية resonants، وإن إنتاج الأصوات الحلقية pharyngals يكون عن طريق تقريب جذر اللسان ومؤخر الفم، لذا من الأدق أن تسمى هذه الأصوات لسانية حلقية Lunguo – pharyngeal حسب احمد مختار، والأصوات الحنجرية glottal فإننتاجها يكون في منطقة تسمى فتحة المزمار glottis وتسمى أيضاً مزمارية، في حين الأنفيات هي أصوات يتسرب الهواء معها من الأنف فقط، وتحديد أماكن نطقها يكون عن طريق تحديد مواقع غلق الفم، فعندما يكون الممر خلال الأنف هو الممر الوحيد المفتوح نتيجة لغلق تجويف الفم، يكون الصوت أنفياً دقيقاً.

هذه بعض التفاتات أحمد مختار عمر في تناول قضايا الدرس الصوتي عند الغرب، والتي يمكن من خلالها بيان منهجه التعليلي ومُصطلحاته المُستحدثة السهلة من أجل تقريب الفكرة للقارئ العربي، وتحقيق الهدف المُبتغى من لسانيات التراث التي إليها ينتهي.

6 الخاتمة:

من خلال مراحل هذه الأكتوبة التي خُصت بدراسة الكتابة اللسانية العربية الحديثة في وجهتها التراثية والتي ضربت لنا مثلاً عن قضايا الدرس الصوتي عند أحمد مختار عمر، تتضح ملامح النتائج النهائية المتوصل إليها، نذكرها كما يلي:

(1) في إطار تعريف اللسانيات العربية الحديثة، ظهرت ثلاث توجهات تهدف إلى تقديمها، متباينة من حيث الموضوع والمنهج والغاية، تمثلت هذه التوجهات في كتابات تمهيدية وتراثية وأخرى ذات طابع عربي، مما يعكس النشاط اللساني العربي المعاصر.

(2) تسعى الكتابة التراثية إلى تقديم التراث العربي في شكل جديد وإعادة قراءته، مع التوفيق بينه وبين الدرس اللساني الغربي الحديث. ينقسم هذا الاتجاه إلى: الكتابة الشمولية، الكتابة الإقطاعية، وكتابة النموذج الواحد.

(3) تطرقت الدراسات الصوتية الغربية الحديثة والتراث اللغوي العربي إلى دراسة الصوت بطرق مختلفة حسب الظروف والوسائل المتاحة، فرغم اختلاف الأساليب، فإن النتائج تكاد تكون متشابهة، مما يجعل من الصعب تفضيل أحدهما على الآخر، كان العرب سباقين في بعض القضايا، بينما أضاف الغربيون مزيداً من الدقة والعلمية.

(4) في حديثه عن الأبحاث الصوتية، اعتمد أحمد مختار عمر على قوتين أساسيتين: التراث اللغوي الصوتي العربي والدراسات الصوتية الغربية الحديثة. وقد أشاد بالدراسات العربية التراثية، خاصة تلك المتوافقة مع نتائج الدراسات الحديثة التي أكدت صحتها باستخدام الوسائل المتطورة.

(5) عند تناول التراث في كتاباته، سعى أحمد مختار عمر لتقديمه للقارئ العربي، مؤكداً أحقيتنا به، ولتعريف العالم بحضارتنا المتميزة بالإبداع والفائدة. فقدم التراث من خلال مؤلفاته، حيث ذكر ما قدمه السابقون وعلق عليه وشرحه، كما انتقد بعض الهفوات البسيطة عند الحاجة.

6) اهتم أحمد مختار عمر بتقديم الدراسات اللسانية الحديثة للقارئ العربي بأسلوب تعليمي مبسط وسهل الفهم، بهدف تمكينهم من الإلمام بهذه الدراسات التي تتميز بالتطور والدقة مقارنة بالتراث العربي.

المصادر والمراجع:

- 1) أحمد محمد قدور، (1998م)، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدّمة كتاب العين، د.ط، دار الفكر، دمشق.
- 2) أحمد مختار عمر، (1988م)، البحث اللغوي عند العرب، ط6، عالم الكتب، القاهرة.
- 3) أحمد مختار عمر، (1997م / 1418هـ)، دراسة الصوت اللغوي، ط6، عالم الكتب، القاهرة.
- 4) علوي حافظ إسماعيل، (مارس 2009م)، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة.
- 5) عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (د.ت)، كتاب العين، ج1، (د.ط) تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي.
- 6) بكوش فاطمة الهاشمي، (2004م)، نشأة الدرس اللساني الحديث، ط1، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع.
- 7) غلفان مصطفى، (2013م)، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ط1، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.